جوانب من مظاهر العلاقات السّياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل العلوي (1672- 1727م)

د. بن قومار جلول
جامعة غرداية (الجزائر)

الملخص بالعربية:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جوانب من مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل العلوي، وتزداد أهمية علاقات الجزائر مع المغرب، بالنظر إلى التقارب المذهبي والديني الذي ميّز الطرفين .

كما عرجت الدراسة على فكرة الحدود الجغرافية بين البلدين، والتي هي في الأصل فكرة دخيلة على المنطقة المغاربية، لكن نجد في المقابل حرص الأتراك العثمانيين عليها، وإقرارها كعنصر هام في العلاقات السياسية بين البلدين.

الكلمات المفتاحية للمقال: العلاقات السياسية –المولى إسماعيل - إيالة الجزائر -معركة المشارع- واد ملوية -الداي شعبان.

Abstract :

This historical article aims to clarify the political relations between the regency of Algiers during Ottoman Empire and Morocco (al-Maghrib al-Aqṣá) in the era of Moulay Ismail (1672-1727).The relations between the two countries had gone through two stages which were the military confrontation stage when Moulay Ismail clashed with Algeria in several battles because of the border conflict. This resulted in many battles such as al-Mecharii battle in1692 ,Djidioua battle in1700 and Alkwyah battle in1700.Cautious peace was the second stage where a state of war and tension remained between the two countries.

مقدمة:

إنّ تاريخ علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى في العصر الحديث خلال فترة السلطان المولى إسماعيل العلوي (1672-1727)[1]تكتسي أهمية خاصة حيث حكم هذا السلطان المغرب الأقصى فترة طويلة تجاوزت النّصف قرن، استطاع من خلالها تثبيت ركائز دولته في المغرب، وباتت الدولة العثمانية ممثلة في الإيالة الجزائرية تخشى طموحه وتوسعه الإقليمي،وظلت مشكلة الحدود بينهما تعكر صفو العلاقات، فدفعت بالسلاطين الأوائل للدولة العلوية كمحمّد الأول[2](997ه-1075ه/1588م-1664م) والسلطان المولى الرشيد[3](1041هـ-1082هـ/1631م-1672م) والسلطان المولى إسماعيل (1082ه-1139هـ/1672م-1727)من انتهاج سياسة توسعية على حساب المناطق الغربية التابعة للجزائر العثمانية فقد أغار السلطان محمد الأول على تلمسان وعلى الأغواط وعين ماضي والغسول ونهب تلك القرى واستولى على أموالها [4]مما دفع بالأتراك العثمانيين أن يردوا بالقوة العسكرية على هذه التهديدات.

وفي هذا السياق يتبادر للباحث طرح التساؤلات الآتية:

- ماهي أبرز مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل العلوي؟

-هل التزم المولى إسماعيل بالعهد الذي أمضاه أخوه المولى محمد الأول مع الجزائريين بخصوص ترسيم الحدود بينهما

أ-لمحة تاريخية عن العلاقات السياسية بين البلدين قبل عهد المولى إسماعيل العلـــوي: وإذا رجعنـــا إلـــى الســـياق التاريخي للعلاقات المغربية الجزائرية في عهد المولى إسماعيل فلا يسعنا لفهم تلك العلاقات سوى استعراضها منذ عهد الدولة السعدية وما ميّزها من علاقات صدامية مرة وسلام حذر في مرات عديدة، فالأتراك العثمانيون بعد أن ضـــمّوا إيالة الجزائر رسميا للدولة العثمانية سنة 1519م وضموا تونس سنة 1574م باتوا يتطلعون إلى ضم المغرب الأقصـــى بمحاولة الاحتواء سلميا تارة، وبتجريد الحملات العسكرية على السلاطين الأوائل للدولة السعدية تـــارة أخـــرى، وفـــي المقابل فإن السعديين عملوا وخاصة في عهد السلطان أحمد المنصور السعدي من انتهاج سياسة المراوغة وربح الوقـــت واستثمار علاقاته مع الإسبان لإحداث نوعا من التوزان في علاقاته مع العثمانيين بالرغم من أن سلاطين الدولة السعدية لم يعترفوا بخلافة آل عثمان واعتبروهم مغتصبين للخلافة من منظور ديني فقد قال علي بن محمد التمكروتي في هـــذا الصدد ما نصه : "

« ...**إنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وإن كانوا حملوا الإمارة وقلدوا الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا و ساداتنا الشّرفاء ملوك بلاد المغرب الذين شرفت بهم الإمامة والخلافة وكـــل مسلم لا يقول عكس ذلك ولا خلافه، وقد أجمع المسلمون على أنّ الخلافة لا تنعقد إلا لمن هو من صحيح قـــريش...** »[5]وأن العثمانيين ما هم إلا أعاجم لا تصح خلافتهم للمسلمين فكان السلطان أحمد المنصور يطلق على نفسه لقب أمير المومنيين وأن السلطان محمد الشيخ من قبل كان يلقب السلطان العثماني بسلطان القوارب و الحواتة[6].

فهذا الإرث التاريخي بين المغرب وممثلي الدولة العثمانية في الجزائر ساهم فـــي رســـم الخطـــوط العريضـــة للعلاقات بين الدولتين اتضحت معالمها مع السلاطين الأوائل للدولة العلوية فيذكر أحد المـــؤرخين المغاربـــة[7] أن أول اتصال سياسي وعسكري بين البلدين في هذه الفترة عندما بعث أحمد باشا[8]بسفارة تحمل خطابا بتاريخ منتصف رجب 1064هـــ /1654م إلى المولى محمد الأوّل، وكانت السّفارة تتألفمن اثنين من كبار علماء الجزائر،وهما الفقيه عبـــد الله بن عبد الله الغفار، والحاج محمد بن عبد العالي الحضري المزغناوي ، واثنين من رجال الديوان الأتراك[9].

ومما جاء في الخطاب :«**إن حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول وولد مولانا الشريف بن مولانا علي وبعد فقـــد كاتبناكم من مغنى غنيمة المقيم والظاعن والزائر رباط الجريد مدينة الجزائر [...]وذلك أن الوهاب سبحانه وتعـــالى منحكم همة وهيبة الجود والحلم والسماحة وأختار لكم عنوان عليها في الصون سجلماسة لكن فـــاتكم ســـرّ الـــرأي والتدبير خرقت على الإيالة العصمانية جلباب صونها الجديد من وجدة الأبلق إلى حدود الجريد فخيبت عنـــا أخـــلاق وأحلاف[...]شنيت الغارة العشواء على بني يعقوب فحسمت رسمهم...**» [10].

فالرسالة تعكس بوضوح تخوف الجزائر من محاولة توسعات السلطان المغربـــي محمـــد الأول علـــى حســـاب الجزائر، ويذكره بنبل أخلاقه وبنسبه الشريف، لعلّه يتخلى ويكفّ عن هذه الغارات التي يشنها على الأقاليم الجزائرية.

وقد اغتاظ محمد الأوّل من الرسالة التي بعث بها باشا الجزائر إليه و التي احتوت علـــى عبـــارات لـــم يتقبلهـــا واعتبرها إهانة له ونقص من قدره كقوله في الرسالة : **«...وقولكم إنّ الحجر لا يدقّ بالطوب...**» [11]مما دفع بـــه، أن يبعث برسالة إلى باشا الجزائر بتاريخ أواخر شعبان 1064هـــ/15جويلية 1654م جاء فيها:

«**إن آل تلمسان ما آثارهم إلا جوركم في الأموال والبنين مع مكابدتهم جمرة الصبر على مسير السنين وقولكم إن الحجر لا يدق بالطوب والخاطف لا يطأ بسط الخطوب تيقنا أن السهم والرمح لا يقومان بقوة الكبريت والمدافعون حن أعرف منكم بأصناف البارود والمدافع...**»[12].

خطاب ترسيم الحدود بين إيّالة الجزائر والمغرب الأقصى 1065ه/1654م.

« نحن جئناك لتعمل معنا شريعة جدّك وتقف عند حدّك فما كان جدّك يحارب المسلمين ولابنهب المستضـــعفين فان كان غرضك في الجهاد فرابط على الكفار الذين هم معك وسط البلاد وأن كان غرضك في استيلاء دولة آل عثمان

،فابرز اليها و استعن بالرحيم الرحمن فلا يكن عليك في ذلك ملام فهذا ما جئت له و السلام و أما إيقاد نار الفتنة بين العباد فليس من شيم أهل البيت الأمجاد ولا يخفى عليك أن ما نفعله حرام لا يجوز في مذهب من مذاهب المسلمين ولا قانون من قوانين الأعجام وهذان فقيهان من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعا ما تقوله ويحكم الله بيننا و بينك ورسوله، فقد تعطلت تجارتنا اجفلت عن وطننا ،فما جوابك عند الله في هذا الذي تفعله في بلادنا وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يعجزنا أن نفعله نحن في بلادكم ورعيتكم على أننا محمولون على الظلم و الجور عندكم لكن تأبى ذلك همة سلطاننا... »

فلما سمع المولى محمد كلامهم أثّر فيه وعظهم و داخلته القشعريرة وعلاه سلطان الحق فأذعن له وقال: «و الله ما أوقعنا في هذا المحذور إلا شياطين العرب انتصروا بنا على أعدائهم وأوقعونا في معصية الله و أبلغناهم غرضهم فلا حول ولا قوة الا بالله،وإني أعاهد اللهتعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء،وإنّي أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت وادى تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله » وكتب بذلك عهدا إلى صاحب الجزائر[13].

ب-مظاهر العلاقات السياسية بين البلدين: لقد مرت العلاقات السياسية بين إيالة الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى في عهد السلطان المولى إسماعيل بمرحلتين هامتين هما:

1-مرحلةالصّراع والصدام:تميزت هذه المرحلة بالمواجهة العسكرية والصدام المسلح مع الجزائر العثمانية ، بشن المولى إسماعيل عدة غارات على الحدود الغربية للجزائر العثمانية وتجاوز خطالحدود وهو نهر ملوية الذي حدد وفق معاهدة الحدود الممضاة سنة 1065هـ/1654م مع أخيه السلطان محمد الأوّل (1632م/1664م) و اعترف بها أخوه السلطان المولى الرشيد(1666م/1672م) ومن مظاهر هذه المرحلة المتوترة في العلاقات الجزائرية المغربية نذكر:

-دعم الجزائر لتمرد ابن محرز[14]1090ه-1679م/1096هـ-1685م: تذكر المصادر التاريخية المحلية أنّ الجزائريين دعموا وساندوا تمرد أحمد ابن محرز ضد عمه المولى إسماعيل بسبب العداء بين هذا الأخير والأتراك العثمانيين في الجزائر لعلم الجزائريين من أنّ المولى إسماعيل له أطماع توسعية في الشّرق، فأرادوا بهذا الدعم إحراجه وتهديد ملكه ومما يدلل على أنّ ابن محرز كان على اتصال بالجزائريين هو ما ذكره الزياني بقوله:

«**وأن كلامهم مع ابن أخيه أحمد بن محرز راسلهم وراسلوه** »[15]وقد بيّن كذلك النّاصري هذا الاتصال بين ابن محرز والأتراك العثمانيين في الجزائر بقوله:

«**ثم بلغه أنّ الترك خرجوا بعسكرهم، واستولوا على بني يزناسن[16]وعلى دار ابن مشعل[17]وأنّهم قد مدوا يد الوفاق إلى ابن محرز وراسلوه وراسلهم وانبرم كلامهم معه على حرب السّلطان**[18].

-مهاجمة المولى إسماعيل للجنوب الغربي للجزائر 1676 م:

لم تتوقف أطماع المخزن المغربي التوسعية في الجنوب الغربي للجزائر خلال حكم الأسرة العلوية ،فقد قام السلطان المولى إسماعيل بعدة حملات على منطقتي قورارة وتوات في محاولة الاستيلاء عليهما والنتيجة لهذه الحملات هو تغيير الحدود بين الجزائر والمغرب [19].وهو التغيير والتوسع المغربي الخامس في الجزائر والثالث بالجنوب الغربي للجزائر[20].

خرج مولاي إسماعيل سنة 1089هـ/1676م غازيا للصحراء الجزائرية فترك مدينة تلمسان عن يساره وذهب موغلا في الصّحراء مستقطبا القبائل وعاد بهم إلى أن وصل نهر الشلف،و على

الضفة المواجهة للنهر فاجأتهم القوات الجزائرية وأطلقت على الجيش المغربي نيران المدفعية فأنهزم جيش السّلطان وتشتت تلك القبائل وقتل الوزير منصور الرامي[21].

- **وقعة المشارع في1103 هـ /1692:**اجتازت قوات سلطان المغرب مولاي إسماعيل الحدود الجزائرية فما كان من الداي شعبان إلاّ أن يعلن الحرب ضد سلطان المغرب، فجهز عشرة آلاف من المشاة، وثلاثة آلاف من الفرسان، وفي

مصادر أخرى، أربعة وعشرين ألف من المشاة وعشرين ألف فارس(22)والتقى الجمعان في مكان يسمى "المشارع" على نهر ملوية وهي في الحقيقة سلسلة من المعارك بدأت شرق تلمسان (23) ودارت المعركة بين الطرفين، تكبد فيها الطرف المغربي خسائر جسام، قدرتها المصادر بحوالي خمسة آلاف قتيل من المغاربة، بينما لم يقتل من الجزائريين سوى مائة (24)،فطلب المولى إسماعيل الصّلح من الداي شعبان ونصبت خيمة لهذا الغرض تتوسط الجيشين، فاجتمع فيها الداي مع السّلطان وعقد الصلح(25)وعن هذا الصّلح يقول قاليبار(Galibert) فيما يمكن ترجمته:

« **إنّ السلطان مولاي إسماعيل عندما كان ذاهبا إلى الخيمة التي نصبت من أجل إبرام عقد الصلح، كانت يداه مكتوفتين، وذلك إشعار باستسلامه، وخضوعه، وعندما وصل أمام الخيمة قبل الأرض ثلاث مرات، وأردف قائلا للداي:"أنت خنجر وأنا اللحم فإن شئت قطع" فلم ينله مكروه من الداي بيد أنّه اشترط عليه شروطا عجز عن تطبيقها فيما بعد**» (26).

وبخصوص حادثة الصلح بين المولى إسماعيل والداي شعبان والخيمة التي نصبت لهذا الغرض والتي رواها محمد بن ميمون الجزائري في كتابه: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**والذي قدم إليه وحققه الأستاذ محمد بن عبد الكريم واعتمد في نقل الحادثة على المؤرخ الفرنسي ليون قليبار في كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث والذي أصدره في باريس سنة 1843(**Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne**) حيث أشار أن المولى إسماعيل جاء إلى خيمة الصلح مكتوف الأيدي وقال للداي شعبان :"**أنت الخنجر وأنا اللحم فإن شئت قطع**" فإن صاحب المقال "**من تجنب الخيار ... أمن العثار**" المنشور في مجلة دعوة الحق عدد 160ينفي نفيا قاطعا وقوع الحادثة ويقول أن المؤرخين المغاربة المعاصرين وغير المعاصرين للمولى إسماعيل لم يذكروا هذه الحادثة وقد تفرد بها المؤرخ ليون قاليبار دون سواه (27).

- تحالف المولى إسماعيل وباي تونس ضد الجزائر 1105هـ/1694م:استغل المولى إسماعيل توتر العلاقات بين الجزائر وتونس، وعقد تحالفا مع الباي "مراد " الذي حاصر مدينة قسنطينة سنة1700(28)،ليشن هجوما على الحدود الغربية للجزائر فقرر الداي الحاج مصطفى(1700-1705) مهاجمة التونسيين وسحقهم، ثم تحرك قاصدا جيش مولاي اسماعيل الذي جمع حشودا قدرت باثنين وعشرين ألف مقاتل وبعد قتال ومطاردة هزم مولاي إسماعيل بعد أن فقد خمسة آلاف قتيل(29)وغنم الجزائريون غنائم كثيرة ومن بينها فرس السّلطان مولاي إسماعيل، الذي أهداه الجزائريون للملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" فيما بعد هذا التّحالف الذي وردت إشارات عنه في الرسالة التي بعث بها "الداي شعبان"(1689م-1695م)،إلى الملك الفرنسي "لويس الرابع عشر" بتاريخ 1سبتمبر1694م(30).

-وقعة الكويعة 1112هـ/1700م: واجه المولى إسماعيل في إحدى حملاته على الغرب الجزائري في موقعة القويعة قرب الشلف سنة 1112هـ/1700(31)القبائل المتحالفة ضده، مستعملا خدعة عسكرية تمثلت في قصف مدفعي طيلة الليل للترهيب، ثم الهجوم الكاسح عند الصّباح فكانت النتيجة حاسمة، حيث قتل من القبائل حسب المصادر اثنا عشر ألف(32) وسبب ذلك أن قبائل بني عامر العربية المتحالفة مع المولى إسماعيل انسلوا من معسكره ليلا، عندما سمعوا مدافع الترك تطلق قذائفها لإرهابهم وفي الصباح عندما علمت القبائل بفرار بني عامر انهزمت هي بدورها دون قتال، ولم يبق مع السّلطان إلّا الجيش الذي قدم به من المغرب، وكان هذا سببا في رجوع المولى إسماعيل إلى عاصمة ملكه (33).

وعن هذه الموقعة ذكر عبد الكريم بن موسى الريفي ما نصه:

« **إلى أن وصل إلى بلاد شليف والقويعة وبقي هناك نحو تسعة أشهر إلى أن أكل من زرعها ونهب كثيرا من أموال أهلها وكانت بينه وبين الأتراك مقتلة عظيمة وملحمة كبيرة مات فيها القائد منصور بن الرامي والقائد عبد الله بن أحميدةوكثير من الناس وذلك في سنة اثنتيعشرة ومائة وألف**» (34).

-وقعة الجديوية في 1112هـ/1700م: تكبد المولى إسماعيل في صراعه مع الجزائريين هزائم كبيرة، ومنها هزيمة موقعة الجديوية(35) سنة 1112هـ/1700م فبعدما توغل بقواته المقدرة بخمسين ألف جندي إلى حدود نهر الشّلف، وفي مكان يدعى "الجديوية" التقى الجمعان يوم 28 أفريل1700م صباحا، وبعد أربعة ساعات من القتال هزم جيش المولى إسماعيل، وجرح وترك رمحه عند أعدائه ولولا سرعة فرسه لقتل وعاد الجيش الجزائري بغنائم كبيرة (36) رجع المولى إسماعيل مهزوما وشرع في تحصين المدن خوفا من الأتراك العثمانيين.

-حملة المولى إسماعيل على وهران سنة 1701م:جهّز المولى إسماعيل حملة عسكرية على وهران لضمها للمغرب، في حالة استخلاصها من الإسبان، بقوة قدرت بعشرة آلاف من المشاة وثلاثة آلاف فارس وكانت الفرصة مواتية للجزائريين لو أنّهم وجدوا القابلية للتّعاون مع سلطان المغرب ووحدوا جهودهم ضد الإسبان، لفتحت وهران قبل الفتح النهائي بسنين عديدة (37)فاعترضت الحامية الجزائرية المجاورة لوهران قوات مولاي إسماعيل وباغتتها بمدافعها على نهر ملوية، وألحقت بالقوات المغربية خسائر كبيرة في الأرواح وعن هذه الغزوة قال الآغا يحي المزاري:

«**ولما سمع الشريف سلطان المغرب مولاي اسماعيل بن الشريف العلوي بقتل العرب المتنصرة للداي شعباناستغاظ غيظا شديدا وجمع جيشا عظيما لا يكاد يسمع بمثله في أقاصي سوس وجاء حاركا به وهران سنة اثنا عشر من الثاني عشر فنزل بجبل هيدور وعاين احكامها ومنعها وإتقان صنعها فقال: «هذه أفعى تحت حجر تضر ولا تضر «وارتحل عنها مشرقافقامت عليه الأعراب مع الأتراك إقامة الغضب**»(38)وقد ذكر إرنيست مرسيي مقولة المولى إسماعيل في وهران فقال مانصه:" Ora ,dit il est une vipère al abri Dun Rocher"(39)

2-مرحلة الهدوء الحذر1727/1708م: تعرض مولاي اسماعيل لهزائم عديدة أمام الجزائريين كلما فكر في اختراق الحدود بين البلدين وهو واد التافنة،وأعتقد أنّه اقتنع بفكرة أنّ لا جدوى مع الصّدام المسلح مع الجزائريين، فالتجأ إلى السّلطان العثماني مستثمرا العلاقات الودية بينهما لعله يستطيع التأثير على إيالة الجزائر وهذا ما توضحه الرسائل المتبادلة بين مولاي إسماعيل والسلطنة العثمانية.

- تقديم شكّوى بإيالة الجزائر للباب العالي: بدأت مساعي السّلطان المغربي نحو السّلطنة العثمانية مذكرا إياها بالتّجاوزات المستمرة لحكام الجزائر، والتي تسيء إلى العلاقات المغربية العثمانية، لذا بعث برسالة للسلطان العثماني محمد الرابع (1648-1687م) مؤرخة في 5أوت 1683م يخبره بصنيع رجاله في الجزائر ويذكره بمعاهدة التافنة التي ترسم الحدود بين الدولتين، وقد كان موقف السّلطان متفهما ومؤكدا الميل للسلام والاحترام بقوله: «**إن إيّالة الجزائر عند أمره ونهيه**»(40).

-الرد على الشكوى : وصلت رسالة مولاي إسماعيل إلى السّلطان العثماني بخصوص الشّكوى بأهل الجزائر التيادعى فيها السّلطان أنّ الجزائريين يتحرشون بالمغرب، فجاء الرد من السّلطان العثماني في رسالة مؤرخة بسنة 1725م يطلب فيها السّلطان من المولى إسماعيل السّماح والعفو عن الجزائريين ويهدد السّلطان العثماني إيّالة الجزائر في حالة الاعتداء على المغرب-وبكلمة عامية-"**بأن يمحي جرتهم**"(41)وهذه مقتطفات من الرسالة:

«**اعلم أيّها السّيد الولي أن قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسمى وخطابكم الأنمى كنّا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ما صار عندهم ولاماهم عليه [...] وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد محلتهم وأرادوا الشرّ معكم وإنا لا نرضى منهم ذلك [...]وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أنّ تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة نمحي جرتهم... »**(42).

فالمتعن في الرسالة التي بعث بها السّلطان للمولى إسماعيل، يتضح أنّ السّلطان العثماني قد أيّد المولى إسماعيل فيما أدعاه ضد الجزائريين، بالرغم من أنّه يقر بأنّ لا علم له بالصراع الدائر بين إيّالة الجزائر والمغرب.

الخاتمة :

نهج المولى إسماعيل في علاقاته السياسية مع الجزائر نهج القوة والمواجهة في المرحلة الأولى فخاض حروبا طاحنة مع الأتراك في الجزائر على الحدود الشرقية للمغرب ولم يلتزم بمعاهدة الحدود الموقعة مع السلطان محمد الأول ومن بعده السلطان المولى الرشيد واعتبار نهر التافنة الخط الطبيعي الذي يفصل بين الجزائر والمغرب ومن تلك المواجهات وموقعة المشارع سنة **1103 هـ /1692 م** وموقعة الجديوية سنة 1112هـ/1700مو موقعة الكويعة 1112هـ/1700م**:** ومحاولة غزو وهران سنة1113ه/ 1701م ثم عدل المولى إسماعيل في المرحلة الثانية عن سياسة المواجهة ليبقي على العلاقات بين الجزائر والمغرب تتراوح بين التخوف والسلام الحذر.

الهوامش:

(1)هو إسماعيل بن مولاي علي الشريف العلوي والمعروف بمولاي إسماعيل ولد بسوس عام خمسة وستين وألف هجرية الموافق لـ 1645م،ومنهم من يرجع موضع ولادته بتافيلالت بالقصر المعروف بأمجار، وذهب بعضهم ومنهم المؤرخ الضعّيف أنّه ولد عام وقعة القاعة - وهي معركة بين الدلائيين وقوات مولاي محمد الشريف سنة 1056هـ/1646م، انهزم فيها مولاي محمد، وأقتحم الدلائيون سجلماسة، وقسموا معه مناطق النفوذ فأعتبر كل ما يقع جنوب الصحراء، هي مناطق تابعة للمولى محمد الشريف، ومن جهة الشمال، مناطق نفوذ الحاج محمد الدلائي- وقد فرح به أبوه فرحا شديدا لأنّه رزق به على حين كبر وسمّاه إسماعيل أما أمّه فيذكر مؤرخ الدولة العلوية الشهير مولاي عبد الرحمان بن زيدان (ت 1946م) صاحب كتاب "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" أن والدة السّلطان مولاي إسماعيل هي مباركة بنت يرك المتوفاة سنة 1078هـ/1668م وضريحها بفاس بالمغرب ومباركة بنت يرك حرطانية لأولاد ديمان، ينظر محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله اليفرني : روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،ط2، المطبعة الملكية الرباط، ص 41.و ينظر عبد الرحمان بن زيدان:المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف،تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي،ط1،مطبعة إديال،الدار البيضاء،المغرب1993، ص ص43، 44.

(2) يعتبرمحمد الأول المؤسس الأول للدولة العلوية (ت 1075ه/ 1664 م) رجل سياسة وفكر، بايعه أهل سجل ماسة واستولى على فاس ومدن الصحراء واتخذ سجل ماسة مقرا له ولم يلبث المولى الرشيد أخ محمد بن الشّريف،أن تتصل بعد وفاة أبيه،من بيعة أخيه محمد ونزل مدينة وجدة،ودعا لنفسه حاكما على شرق المغرب،مما أدّى إلى نشوب معركة بين الأخوين، في مكان يسمى أنكاد فاستقرت أوّل رصاصة في نحر "المولى محمد" ليسقط قتيلا، وذلك يوم الجمعة 09 محرم 1075هـ/ 1664م ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقص ا لأخبار دول المغرب الأقصى،9ج،تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري الناصري،دار الكتاب،الدار البيضاء 1955،ج7،ص 31

(3)عن ترجمة المولى الرشيد ينظر عبد الرحمان بن زيدان::الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة المطبعة الاقتصادية، الرباط1937،ص11.

(4)ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:المرجع السابق، ج7، ص ص 20، 21. وينظر عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب الكبير ،ط1، شركة تاس للطباعة ،القاهرة ،أوت 2006، ج 4،ص95.

(5)علي بن محمد التمكروتي : النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تحقيق وتقديم محمد الصالحي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي الإمارات،2007،ص165.

(6)ينظر محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني: نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي،تحقيق عبد اللّطيف الشاذلي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998،ص42.

(7) يرى الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه التاريخ الدبلوماسي للمغرب في جزئه التاسع أن أول اتصال سياسي وعسكري كان بين الدولة العثمانية في الجزائر والمغرب الأقصى كان في عهد السلطان محمد الأولبن الشريف إثر الحملة العسكرية التي وجهها على الحدود الغربية لإيالة الجزائر العثمانية من أجل السيطرة على تلك النواحي واستخلاصها من يد العثمانيين

[8]تولى أحمد باشا المعروف باسم "توشان" حكم الجزائر من سنة 1653م إلى 1655م ينظر عنه، حسين بن رجب شاوش بن المفتي: تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع واعتناء فارس كعوان،ط1،بيت الحكمة،الجزائر2009م،ص53. بينما ذكر ابن زيدان أن الذي بعث الرسالة للسّلطان المغربي محمد الأول هو عثمان باشا ينظر عبد الرحمان بن زيدان:إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس،تحقيق علي عمر،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،ج2،القاهرة 2008،ج 3 ،ص164.

[9]أحمد بن عبد القادر الكردودي: الدر المنضد الفاخر لأبناء مولانا علي الشريف من المحاسن والمفاخر، مخطوط، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء ،المغرب قيد رقم 20 0/ 1 ورقة 18.

[10] ينظر الرسالة كاملة عند،محمد الضعيف الرباطي: تاريخ الضّعيف(تاريخ الدولة السعيدة)،تحقيق أحمد العماري،ط1،دار المأثورات الرباط 1986،ص ص20،22، 23.

[11]أي أنّ الأتراك في الجزائر أقوياء كالحجر الصّوان، وأنّك أيها السّلطان، ضعيف ضعف الطّوب أمام الحجر الصّلد.

[12]ينظر الرسالة كاملة عندمحمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق،ص25.

[13]ينظر الضعيف الرباطي:المصدر السابق ،ص65.

[14]أحمد بن محرز المعروف بأبي العباس أحمد بن مراد محرز بن مولاي الشريفمؤسس الدولة العلوية، فهو حفيد مولاي الشريف, وابن شقيق السلطان محمد الأول، والسلطان مولاي رشيدوالسلطان مولاي إسماعيل .كان مشهورا بسبب الثورة التي قادها من سوس ضد عمه مولاي إسماعيل الذي كان قبل وفاة سلطان المغرب - آنذاك مولاي رشيد- واليا لفاس ثم بويع سلطانا بها مما تسبب في ثورة شقيقه محمد حران حاكم تافيلالت وخصوصا ابن أخيه أحمد بن محرز الذي رفض البيعة، واستولى على مراكش ونواحيها. استمرت الانتفاضة 15 عاما حتى وفاة أحمد بن محرز في تارودانت في عام 168، ينظر الموسوعة.

[15] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 65.

[16]قبائل أمازيغية في شمال شرق المغرب ،موطنهم الأصلي مدينة وجدة و يمتد مجال هذه القبائل إلى حدود الأراضي الجزائرية ومنهم من يقول أنّهم من عرب اليمن ينظر، قدور بن علي بن البشير اليزناسي العتيقي الورطاسي الحسني:بنويزناسن عبر الكفاحالوطني: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر الرباط 1976م،ص ص18، 19.

[17]هي عبارة عن حصن يعود إلى اليهودي ابن مشعل بناحية تازا ،ينظر أبو القاسم الزياني:البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، ص 165.ينظرمحمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق،ص 40.

[18]أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص 65.

[19]صالح بوسليم:إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 18-19م،ط1،المطبعة العالمية بغرداية 2015،ص 44.

[20]جلول مكي:مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب في 631هـإلى 1263هـ/1234م-1847م،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،معهد التاريخ جامعة الجزائر 1412هـ1993م ،ص124.

[21]عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ط2، شركة دار الأمة،الجزائر 2007،ج3،ص191

[22]حسين مؤنس:تاريخ المغرب وحضارته من الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع،مج3،بيروت، 1992 ،ج2و3،ص243. ينظر كذلك ،مولاي بلحميسي: إرشاد الحيران في أمر الداي شعبان، في مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر 1986،عدد2،ص50.

[23]ينظر محمد الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ص 76.

[24] ينظر محمد بن ميمون الجزائري:التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1981،ص 24.

[25] نفس المصدر،ص 24.

[26]L éon Galibert: Histoire de L'Algérie Ancienne et Moderne, Paris 1843. , p234.

ينظر كذلك عمر بن قايد: أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11ه/17م في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة غرداية 2012،عدد 17،ص146.

(27)ينظر مقال بعنوان المقال "من تجنب الخيار ... أمن العثار" المنشور في مجلة دعوة الحق عدد 160.

(28)عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق،ج3،ص206.

(29)عزيز سامح التر: المرجع السابق ،ج 2، ص 441.

(30)Eugene Plantet:Correspondances des deys d Alger avec la cour de France 1579-1833,T1,Paris,1889,p415.

(31)حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع،مج3،بيروت، 1992 ،ج2و3،ص243.

(32)محمد القبلي: تاريخ المغرب تحيين وتركيب،ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط 2011،ص 408.

(33)عبد الله العمراني:"سياسة مولاي إسماعيل الخارجية" ،في مجلة البحث العلمي، عدد 4 و 5،السنة الثانية، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1965،ص 300.

(34)عبد الكريم بن موسى الريفي: زهر الأكم ،دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1992،ص191.وينظر أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي: الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي،ج1،الرباط 1994،ص127.

(35)تقع مدينة الجديوية غرب الجزائر في وسط إقليم غليزان،يحدها واد رهيو، ومن الغرب مدينة الحمادنة، ومن الجنوب بلدية أولاد يعيش ومن الشمال بلدية الحمري .

(36)H .D. degrammant : Histoire D'Alger sous la domination Turc ,1515-1830, Ernest Leroux, Paris 1887, p270.

(37)محمد عليداهش:الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف،ط1،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 2011،ص79.

(38)ينظرعن المعركة آغا يحي المزاري:طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،تحقيق يحي بوعزيز،دار الغرب الإسلامي ،1990،ج1، ص ص 231، 232.وينظر عن القبائل المتعاونة مع الأسبان(المغاطيس) عبد القادر بن عبد الله المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عام، تحقيق محمد بن عبد الكريم ،دار مكتبة الحياة،بيروت،د ت.

وينظر عن هذه الحملة كذلك محمد بن أحمد بن أبي راس الناصري:،المرجع السابق،ص 46.وينظر أحمد بن عبد الرحمان الشقراني: القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم ناصرالدين سعيدوني ، دار الغرب الجزائري،ط1، 1991،ص69.

(39)Ernest Mercier: Histoire L'Afrique septentrionale (berberie) ,T3 ,Paris ,p317.

(40)محمد علي داهش: المرجع السابق،ص 77.

(41) عبارة عامية متداولة عند الجزائريين ،ذكرها السّلطان العثماني في رسالته ،وتعني أدمرهم وأقطع دابرهم.

(42)ينظر عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة المحمدية المغرب 1988،مج9،ص22.